الباب الثانى

التوجيه فى المجتمع المعاصر

- بين الغريزة والعقل .
- مصدر التوجيه .
- الاحتراف بالتوجيه .
- القديم والجديد فى التوجيه .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصـــل الأول

بين الغريزة والعقل

ان الانسان — من بين الكائنات التى تعيش معه على هذه الأرض ... وهو وحده الذى يجمع بين العقل والغرائز فى حركة الحياة ... وانه وحده من أجل ذلك يتميز بالسيادة على ما عداه ، وباستطاعته تدبير الوضع الذى يجعل منه منظما أو كاشفا اياه ، أو دافعا وموجها له فى حركته ، ان كان ذا حركة .

... وهو الذى من أجل ذلك يملك طاقة **التحليل والتركيب فى المعرفة ، وطاقة الهدم والبناء فى دنياه المادية .**

وهذه الطاقة هى التى تعينه فى « الفهم » و « البناء » وفى « التفريق » و « التجميع » .. هى التى تجعله ذا قدرة على خلق مجتمع خاص ، يقوم على ضعف مجتمع سابق عليه .

وبجمع الانسان بين العقل والغرائز كان معقداً فى تركيبه المادى ، وبطيئاً فى نموه البشرى ، وصاحب اتجاهين فى سلوكه يختلط بعضهما ببعض ... يتردد فى خطواته : الى اليمين أو اليسار .. الى الانخفاض أو الارتفاع ... تشده الغرائز الى اتجاه ، ويرشده العقل الى اتجاه آخر ، وربما يكون اتجاهاً مضاداً للاتجاه السابق عليه .

... ان غرائز الانسان — وهى ميوله الفطرية وخصائص طبيعته الحيوانية — تبكر لديه فى الظهور واليقظة ، وتسرع عنده فى النمو والتأثير ، لأنها ترتبط بحفظه وبقائه ككائن حى .. وهى فى جملتها تستهدف هذا الهدف ، ان لم تكن متفرعة عن غريزة أصيلة ووحيدة عنده ، هى : غريزة حفظ البقاء ◙

وهذا التبكير فى ظهور الغرائز لدى الانسان ، مع السرعة فى نموها وتأثيرها ، يحفظ لها ميزة المبادأة بالفعل فى المحيط الانسانى ، ويتيح لها فرصة — قبل العقل — للتأثير فى توجيه الانسان ، عن طريق تكوين عادات معينة ، تستتبع حتماً أثرها الخاص فى التصرفات والسلوك .

وكلما تأخر تدخل العقل — أو ما يسمى بالشعور — فى محيط الانسان ودائرة تصرفاته وسلوكه ، كلما قوى تأثير الغرائز فى توجيه الانسان ، وكلما كذلك طال أمد هذا التأثير .

والعادات التى تتكون عن طريق الغرائز تتأثر فى هذا التكوين ، بعد ذلك بظروف الحياة وأحوال البيئة التى يعيش فيها الانسان نفسه .

فالغرائز أساسياً تدفع بدون شعور نحو تحصيل المطلوب للانسان ، بما يحفظ عليه حياته ويصون بقاءه . ثم طريق التحصيل يخضع لعرف المجتمع وظروف الوضع الخاص للانسان .

فان كان يشيع فى المجتمع المنكر والفحشاء ... يشيع فيه الانحراف والفساد ، فالعادات التى تتكون لدى الانسان عندئذ هى عادات تعكس هذا المنكر ، وهذه الفحشاء ، وتعكس ما يسمى بالانحراف والفساد .

... فالاعتداء على المال والملك ان كان شائعاً كعرف .. تكونت لدى الانسان الناشىء عادة السرقة والسطو ، كسبيل لوقاية الانسان من الفناء الشخصى بسبب الجوع .

... وان كان الاعتداء على العرض شائعاً ، أو لم يتكون بعد مفهوم « العرض » فى البيئة التى يعيش فيها الانسان .. تكونت لدى الانسان الناشىء عادة الاتصال الجنسى فى غير حرج بمن يتصل به ، كطريق للمحافظة على البقاء النوعى للانسان .

والمحافظة على البقاء ، فى صورتيه : الشخصى والنوعى ، ضرورة لا شعورية تقتضيها غريزة حب البقاء . والسبيل الذى يحدد للوصول الى الهدف : كالسرقة ، أو الاعتداء على العرض هنا ، يحدد عن طريق العرف والبيئة وظروف الحياة الخاصة .

... ومثل الاعتداء على المال أو العرض ــ كطريق لحفظ البقاء النوعى أو الشخصى ــ الاعتداء على النفس بالقتل ، كطريق لحفظ البقاء الشخصى أو النوعى أيضاً ، يخضع كوسيلة تحدد للشائع من عرف أو ظروف معينة فى المجتمع الذى يعيش فيه الانسان الناشىء .

... وهكذا : الغريز تدفع فقط نحو حفظ البقاء . أما أسلوب المحافظة فيخضع بعد ذلك لما هو مألوف أو مسيطر على البيئة من ظروف وأوضاع وأعراف .

والعقل ضرورته ــ لذلك ــ ليس فى وجوده فى الانسان فحسب ، **وانما فى أن يباشر مهمته فى حياة الانسان ... فيما له من تصرفات وسلوك .**

... ضرورة العقل فى أن يتدخل بين دفع الغرائز ، وما هو موجود فى المجتمع والبيئة من أعراف ، وظروف وأوضاع ، من شأنها أن تحدد وسائل الحصول على مطلوبات الغرائز وتحقيق أهدافها : من المحافظة على بقاء الانسان فى : شخصه أو فى نوعه .

وتدخل العقل عندئذ لا يشل دفع الغرائز ولا يوقفه ، لأنه لا يستطيع ذلك . وانما ليوجه السبيل فى تكوين عادات تقوم على تلك الغرائز ، بحيث لا تخل بأهدافها من المحافظة على البقاء ، وفى الوقت نفسه تحمى المجتمع وتحمى الأفراد من الاعتداء .

والعقل بقدرته على التحليل والتركيب ... وبقدرته بالتالى على التقييم ، يمكنه أن يتدخل فى وزن الأوضاع السائدة فى المجتمع ، وفى العادات التى تكونت على أساس من هذه الأوضاع وبحث تأثيرها لدى الأفراد ، كوسائل للحصول على الأهداف ، وفى آثارها وما يترتب عليها . وعن طريق التحليل سيصل الى ــ قيم ــ محددة ، ونتائج تتضح سلبيتها أو ايجابيتها بالنسبة لحفظ البقاء الشخصى أو النوعى للانسان .

« والسلام » و « الاعتداء » : مفهومان عامان من مفاهيم العقل ، التى تكونت لديه بمباشرته التحليل والتركيب . وبالخبرات التى اكتسبها من التطبيق فى الحياة العملية الانسانية يستطيع تقييم كل منهما ، ورصد آثارها التى تتصل بحفظ البقاء الشخصى والنوعى الانسانى .

ويعتبر هذان المفهومان أصلين فى مجموعة المفاهيم العقلية ، يمكن أن يرد اليهما كل ما عداهما من المفاهيم الأخرى ــ لا بحسب الاعتبار اللغوى والنظرى ، وانما بحسب الاعتبار الذى ينزل بالتفكير الانسانى فى مجال التطبيق العملى والسلوكى .

... وهما شبيهان فى دائرة المفاهيم العقلية الى حد كبير ، بغريزة حب البقاء ، كالغريزة الأم فى مجال الغرائز :

اذ ما من تفكير سلوكى الا ويتصل بالسلام ، أو الاعتداء .. لأن تفكير الانسان ذاته لا يخرج فى نهاية أمره عن صيانة « البقاء » والمحافظة عليه .. والسلام هو طريق المحافظة عليه ...والاعتداء هو سبيل تهديد هذا البقاء .

والانسان فى آخر مطافه : كائن حى ينشـــد البقاء بغرائزه ، وبتفكيره على السواء .

واذا كان « السلام » و « الاعتداء » هما المفهومين العامين العقليين اللذين يحددان نطاق التفكير وعمل العقل ، ويدور فيهما نشاط الانسان كانسان له منطق وتفكير .... فمهمة العقل من تحليل ، وتركيب ، وتقييم ، هى : وزن الأعراف والشائع من عادات فى المجتمع ، والبيئة ، ووزن الأوضاع والظروف الخاصة التى ينمو فيها الانسان الناشىء .. ثم ترجيح ما يبدو فيه السلام والمحافظة على البقاء الشـــخصى والنوعى ، والنصح به فى جعله أساساً لأعراف وعادات جديدة ، وفى تكوين أوضاع وظروف أخرى ملائمة له .. كى تأخذ الغـــرائز فى دفعها طريقا مسالما ، أو طريقا مأمونا من الاعتـــداء والانحـــراف .

... وهنا يأتى دور « التربية » . وهو دور تكوين عادات وأعراف . تعين الغرائز على أن تصـــل الى هدفها الأخير من المحافظة على « البقاء الشخصى والنوعى » :

... بحيث لا يكون فى المحافظة على البقاء الشخصى لفرد فناء للبقاء الشخصى لفرد آخر ، أو تهديد له .

... وبحيث لا يكون فى المحافظة على البقاء لمجتمع فناء لبقاء مجتمع آخر أو تهديد له .

... وبحيث لا يكون فى المحافظة على البقاء النوعى تهديد لهذا البقاء النوعى بالانحطاط والتدهور فى خصائصه .

والتربية : ســـواء أكانت بالمنزل ، أم بالمدرسة ... تستهدف تكوين العادات الملائمة لحفظ البقاء الانســـانى . وهى تلك العادات التى تعرف بالعادات الفاضلة أو الأخلاق الحميدة .

ويقترن بهذا التكوين التنوير بالواجبات والحقوق ، وتحديد مفاهيمها ودوائر تطبيقها فى الحياة الفردية والحياة العامة ... كى يدرك الانســـان — ويسلك فى الوقت نفســـه — وضعه . ووضـــع غيره معه فى الأسرة ، أو الجوار ، أو المجتمع .

والواجبات والحقوق هى حصيلة التجارب الانسانية الماضية فى معاملات الانسان ، واتفاق الأفراد على التعامل والتعايش على أساس منها ... وهى ليست فى واقع أمرها سوى أمور وأوضاع تحدد السلوك الانسانى ، وتضع معياراً عاماً له ينشد تطبيقه : السلام ، ويجانب الاعتداء ... وبالتالى يحفظ على البقاء الشخصى والنوعى على السواء .

والواجبات هى فى ذاتها حقوق . والحقوق فى جوهرها واجبات . لأن ما يجب على فرد اداؤه يتعلق بهذا الأداء حق لآخر . فطالما الأمر يؤدى فهو واجب من جانب المؤدى ، وحق لمن صالحه يرتبط به .

وكل فرد فى المجتمع يتبادل المنفعة والمصلحة مع الآخرين فيه . والتبادل عادة له طرفان ، والفرد فى عملية التبادل له اعتباران :

- اخذ ، ومعط ،
- ومؤد ، ومستقبل .

فباعتباره آخذا أو مستقبلا ، هو صاحب حق ،

وباعتباره معطيا أو مؤديا عليه واجب .

... وهكذا معيار السلوك الانسانى هو معيار قائم على توفير تبادل المصلحة للأفراد جميعاً ... يستهدف بالتالى تحقيق السلام فى علاقات هؤلاء الأفراد ، كما يستهدف المحافظة على البقاء الفردى والنوعى لهم ... وبالتالى يجنب الانحراف والاعتداء ، وتهديد البقاء الانسانى فى نوعه وفى أشخاص أفراده .

الغرائز :

فالغرائز قوى فطرية .. قوى واستعدادات طبيعية فى الكائن الحى ، انسانا أو حيوانا ، تدفع **فى غير شعور** الى المحافظة على بقاء هذا الكائن الحى ... وظيفتها أن تسارع فى غير ابطاء الى تلبية حاجات هذا الكائن ، فيما يصون وجوده ، ويدفع عنه ظروف الافناء .

... هى طاقات عديدة زود بها هذا الكائن مثل : غريزة الدفاع والمقاتلة ، وغريزة الحركة ، وغريزة النسل ، وغريزة السعى لتحصيل حفظ البقاء الشخصى ، وتتمثل فى الميل الى الاقتناء والادخار .

هذه الطاقات العديدة تباشر مهمتها فى الكائن الحى ، دون حاجة الى روية أو تدبير ، وبدون تخطيط سابق أو مرسوم .

ويشـــاهد « رد الفعل » فى الحيوان ، كصورة واضحة لأثر هـــذه الطاقات فيه .

... فالحيوان يقاتل غيره ، للظفر بمـــا يدفع عنه الجوع . وينشب أظفاره فى زميل ، أو ابن ، أو أخ ، أو أب ، أو أم له ، ان كان ذا أظفار... دفاعا عن نفسه .

... ويبنى بيته فى الرماد ، أو ينتحى جانباً فى مكان مأمون ... وقاية لذاته من برد ، أورعد أو عدو يتربص به .

... ويسير المسافات ويقطع الصعاب للحصول على ما يقتات به ، ويجمع فرائسه ، ويدخرها ، ليسد بها حاجة معدته ، لفترة يخشى الحركة فيها.

... وتندفع الأنثى نحو الذكر ، والذكر نحو الأنثى للاشتراك فى بقاء النوع ، فتحمل الأنثى ، وتلد وتختص الأم بغريزة الأمومة ، والحضانة ، بينما يختص الذكر بقوة غير عادية فى الدفاع والمقاتلة ...

وهـــذه الغرائز بذاتها موجودة فى الكائن الحى الانسانى ، وان كانت بصورة أقل أو أضعف . لأن تدخل العقل ـــ الذى تميز به الانســـان ـــ فى توجيه الغرائز ، لم يتركها تأخذ الطريق ، فتنمو وتقوى فى أى اتجاه . وانما قادها الى اتجاه معين وفى سبيل محددة . وبذلك حد من انطلاقها فضعفت . ثم بعامل الوراثة زادت تشذيبا ، وتهذيبا ، فبرزت فى الانسان فى وضع ... يختلف عما لها فى الكائن الحى الحيوانى .

ولكن من جهة أخرى توجد فى الانسان غريزتان أخريان ، أقوى فيه ، منهما فى الحيوان .. وهما غريزتا :

التقليد ، والاستطلاع .

وربما ذلك لأن حفظ البقاء فى الكائن الحى الانسانى فى حاجة أشد الى قوة هاتين الغريزتين ، منهما فى الحيوان .. هو فى حاجة الى عوض عن تلك القوة التى تتميز بها غريزة الدفاع والمقاتلة فى الحيوان عنها فى الانســـان . ولا شـــك أن الميل الى التقليد ، وكـــذا حب الاســـتطلاع فى الانســـان ، يوفران عليـــه جهداً كبيراً فى المحافظة على بقائه ، لو استخدمهما استخداماً منظما وايجابيا .

العقـــل :

وبعد الغرائز : يوجد العقل فى الكائن الحى الانسانى .

... وهو القوة الشعورية أو القوة الفكرية ، التى تعطى الانسان قوة التأمل والمراجعة ، والترجيح ، والحكم ، بين الأشياء أو الطرق والوسائل العديدة ، التى سيواجهها الانسان عند الحصول على مطلوبه .

... هى الطاقة التى تعطى الانسان حلول المشكل الذى سيعترضه ، بعد أن تمكنه من تحليل هذا المشكل الى عناصره الأولى ... وكذا تمكنه من تقييم هذه العناصر فى ضوء الضرورات التى تحيط بالانسان ، والتى يتطلبها وجوده الخاص .

... هى القوة الملاحظة ، والمسجلة لصفات الأشياء والأحداث ... وهى بعد ذلك : القوة الواعية والمختزنة للمشاهدات التى مرت بالانسان فى تاريخه الطويل ، وكذلك للمعارف التى أدركها ، وحصلها عن الأشياء والأحداث ، التى وقعت فى دائرة الانسان ، الخاصة والعامة .

فى حكم العقل على الأشياء والأحداث يستخدم — هذا العقل — حصيلة التجربة الانسانية التى تلقن للناشئة ، ويقرؤها الكبار باسم المعارف الكونية ، والتاريخية ، والبيولوجية ... كما يستخدم — هذا العقل أيضاً — فى حكمة : فى سبيل الموازنة والتقييم .

والعقل فى استخدامه هذا وذاك ، يتأثر بالمصالح الخاصة والمنافع الشخصية المؤقتة ... ثم كذلك بالمصالح الأخرى العامة التى ربما لا تتجاوز نطاق المجتمع المحدود — الذى يعيش فيه الانسان — الا قليلا .

ولذلك ليس العقل الانسانى المنوه عنه هنا هو العقل الفردى ... ليس عقل شخص معين ، أو فرد بالذات ... هو العقل العام الذى اختزن تلك التجارب كلها ، والذى حصل مقاييس الموازنة والتقييم ، على ممر السنين .

لكن هذا العقل العام قد يتمثل من جانب آخر فى عقل فرد معين ، وعى المحيط الذى يعيش فيه ، وأكثر من دربة التفكير على الحكم والتقييم : كالفيلسوف ، أو المؤرخ ، أو عالم الاجتماع ، أو العالم النفسى .

ومع ذلك لا ينبغى أن يعتبر عقل مثل هذا الفرد ممثلا تماما للعقل العام وصفاته . لأنه لايستطيع — مهما حاول — أن يتجرد كلية من جميع الظروف والأوضاع الخاصة ، التى عاش ونما فيها . وهى ظروف وأوضاع لا شك

لها تأثيرها فى الحكم القائم على الترجيح ، والتقييم .. بحيث لا تجعل العقل العام منعكسا انعكاسا واضحا ، فيما يقـــرر ، أو يذكر ، كرأى أو توجيه يصدر عنه .

وهذا العقل الانسانى يعتبر فى الانسان كضابط لقـــوى الغرائز ... يعتبر كمرشد أو موجه لهذه الغرائز . وليس توجيهه اياها الا نتيجة الموازنة والتقييم التى حصل عليها ، والتى تمت فى ضوء المحافظة على البقاء للانسان فى أفراده الموجودين ، أو فى نوعه المستمر .

.... هذا العقل هو الذى يمكن — من أجل ذلك — للانسان أن يسود على ما عداه من الكائنات الأخرى فى محيطه الأرضى . لأنه يقدم له الحلول العديدة التى تجعل السيطرة أو التغلب على الصعاب أمراً واقعياً ، فى سبيل بقائه والمحافظة على هذا البقاء .

اذ لولا هذا العقل فى الانسان لما استطاعت غرائزه وحدها أن تحمى بقاءه الفردى أو النوعى ، فى مواجهة الكائنات الحية الأخرى ، التى لها من غرائزها ومن خصائصها الطبيعية ما يعينها على أن تتميز وتتفوق ، فى الدفاع والمقاتلة ، أو تنفرد بالقوة الفاصلة فى ذلك .

... فالغرائز المشتركة بين الانســـان والحيوان ، هى فى الانســـان أضعف منها فى الحيوان ، بفعل الوراثة والتشذيب .. وهى بسبب هذا الضعف لم تعد متكافئة ، ولم تعد بالتالى تغنى وحدها الانسان فى المحافظة على بقائه فى أية صورة من الصور .... فى مواجهة الكائنات الأخرى الحية .

ولذلك عد العقل الانسانى ميزة كبرى فى الانسان ، وطاقة هائلة لديه للحماية ، والصراع من أجل البقاء . وأصبح وجود الانسان نفســـه مرتبطاً بهذا العقل ، وبفاعليته .

ضرورة الغرائز والعقل معاً :

فالانسان فى مواجهة الحيوان مثلا ، ضعيف بغرائزه ، ولكنه قوى بعقله. ومع ذلك فهو فى نفسه قوى بالأمرين معاً ، ولا يستغنى عن واحد منهما .

اذ بدون الغرائز لا يهتم الانسان ببقائه ، فضلا عن اهتمامه بالمحافظة على هذا البقاء . واذا لم يهتم الكائن الموجود بوجود نفسه اهتماما منبثقا من طبيعته وذاته ، فلا فائدة ترجى من توجيه له فى هذا الوجود .

... وكذلك بدون العقل لا يتمكن الانســـان من البقاء : ان فى وجوده الشخصى ، أو فى وجوده النوعى .. لأن الخطر الذى يهدد بقاءه عندئذ ليس

من نفســـه ، وانما من أقوياء منافسين له فى الوجود . وهؤلاء الأقوياء هى الكائنات الحية الأخرى التى تدب على هذه الأرض .

وهنا يبدو جلياً : أن تركيب الانسان فى طبيعته من غرائز وعقل .. كان ضرورياً ، لحماية وجوده ، واستمراره ، وامتداده .

... ولذلك أيضاً : كانت المحافظة على التعادل بين الغرائز والعقل فى طبيعة الانسان أمراً ضرورياً لنفس الغرض والهدف . وهو وقاية الانسان ، وضمان استمرار وجوده فى نوعه .

ومن أجل هذا يعد ضد طبيعة الانسان : أن يلغى اعتبار أى واحد من النوعين فى هذا التركيب البشرى .

فضد طبيعة الانســـان أن تحرم عليه المعاشرة الجنسية فى حياته فى ايـــة صورة .

وضد طبيعته أن يفرض عليه صوم الدهر أو الصوم الطويل الأجل .

وضد طبيعته أن يحرم من الاقتناء والتملك على أى نحـــو طوال حياته التى يعيشها .

وضد طبيعته أن يفرض عليه العمل لغيره ، دون أن يشـــارك فى ثمرة هذا العمل .

كما ان ضد طبيعته أن يفرض عليه البقاء فى الجهل .

والنظم الأخلاقية السلوكية ، أو الدينية ، أو السياسية ، التى تقوم على الغاء اعتبار أى من قوى الانسان الغريزية ، أو على تجاهل العقل ومنزلته فى التوجيه الانسانى ... تتسم بالمبالغة فى عدم الملاءمة بين طبيعة الانسان وبين ما يطلب منه أداؤه ، حسب هذه الطبيعة .

ومثل هذه النظم تحمل فى ذاتها عوامل عدم الاستقرار وعدم البقـــاء على ممر الزمن ، وستصير حتماً الى الزوال ، ان لم تعدل نفســـها بما يلائم خصائص الطبيعة البشرية .

● ومن هنا : كان نظام الرهبنة فى منع المعاشرة الجنسية نظاماً غير طبيعى . على معنى أنه لا يلائم الطبيعة البشرية ، كطبيعة مزدوجة ومركبة ، ولا يمكن افناؤها فيه .

واذا كان نظام الرهبنة نظاما غير طبيعى فهو لا يقبل التعميم . وفى حال ما اذا الزمت به جملة من الأفراد عن طريق الاقناع والتأثير بنتائجه على

حياة الانسان الأخروية فربما تأخذ الغريزة الجنسية لدى هؤلاء الأفراد طريقاً آخر ملتوياً فى التعبير عن وجودها ، كقوة طبيعية يستحيل عليها أن تفنى فى الانسان ، وأن تقبل العدم والالغاء ... فربما تأخذ طريق الشذوذ الجنسى .

● وعلى هذا النحو : نظام الصوم الطويل الأجل ، الذى تفرضه بعض الديانات . وعلى الأخص فى محيط الديانات الشرقية القديمة ورواسبها التى ظهرت فى الديانات الأخرى المتعاقبة .

فهذا الصوم وان كان يحصل نوعاً من الرياضة النفسية ، التى تسمو عن طريقه روح الانسان وتسود به على اغراءات الحياة المادية ، كما يحصل لها نوعاً من الصفاء تسعد فى جوه بالحياة التى تعيشها على هذه الأرض ... الا انه ينتهى بالانسان : لا الى السلبية والانعزالية وحدهما فى الحياة ، وانما ينتهى حتماً بطبيعة الانسان ذاتها الى شبه العجز عن المحافظة على البقاء... وبعبارة أخرى ينتهى : **بافناء الطبيعة البشرية ، بفعل هذه الطبيعة نفسها .**

... هذا النظام ، وهو نظام الصوم الطويل الأجل ، يمكن للعقل أن يتجرد فى الحكم ولكنه يهدد بصورة عامة بقاء الانسان فى شخصه ، أو فى نوعه . اذ العزوف عن الاستجابة الى الغرائز — والصوم الطويل الأجل موصل الى اضعاف الغرائز جميعها — معناه : اضعاف الانسان من جانب آخر ... معناه شل فاعلية العنصر الغريزى فى طبيعته .

...والروحية التى تقوم على مثل هذا النظام روحية لا تبلغ الانسان الى الهدف المنشود من طبيعته ، وهو البقاء ، والكفاح من أجل البقاء .

وقصة آدم وزوجه التى جاءت بها الكتب المقدسة ، استهدفت وضع الانسان فى الحياة الأرضية ، وضع صاحب الرسالة يناضل من أجلها ويسعى بالكفاح فى سبيلها ... وضعت الانسان بين الخير والشر ... وضعته بين أن يكون من جنود الله ومحبى الخير أو من أتباع الشيطان وأصحاب غوايته .

ولكنها طلبت اليه أن يغالب الشر ، ويسود عليه :

« وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فازلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى

فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون »(١) .

... « ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكون ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما الم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون . يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ، ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون »(٢) .

... اذ الانسان تبعاً لهذه القصة غير مخير فى أن يقف فى جانب أى من الخير والشر ، أو فى اتباع أى من الهدى والضلال . ولكنه ملزم بانتهاج سبيل معين ، لغاية معينة ... هى سبيل الله وغاية الخير .

والعالم لم يخلق ترفاً ، ولم يوجد لهواً ولعبا ، على نحو ما تحكى الآية القرآنية التالية وانما خلق ، ووجد ، لصراع الحق مع الباطل وانتصار الحق عليه :

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون »(٣) .

والانسان هو المكلف بنصرة الحق ، والعمل على سيادته ، وازهاق الباطل ودفعه . ومهمة الانسان هذه ، من طبيعته وبحكم تكوين هذه الطبيعة . فليس الحق ... الا استقامة العقل واستقامة السلوك . وليس الباطل ...

---

(١) البقرة : ٣٥ ــ ٣٩ (٢) الأعراف : ١٩ ــ ٢٧ .
(٣) الأنبياء : ١٦ ــ ١٨ .

الا جنوح الغرائز ، وعدم التدخل فى تهذيبها وتوجيهها . ليس الحق الا نتيجة الايمان الصحيح والتفكير السليم .... وليس الباطل الا غلبة الهوى وخضوع النفس لشهوات غرائزها .

وعبادة الانسان لله الذى هو : الغنى .. العليم .. الحى .. السلام .. المؤمن .. المهيمن .. الخالق .. المريد .. الملك القدوس .. الخ .. توجب على الانسان أن يحاكى صفات الله فيما يتصف به .

ولن يكون الانسان قريباً من الله الا اذا تأثر بصفات الله فى تخلقه وسلوكه .

... وعندما طلب الاسلام من المؤمنين به أن يتخلقوا بأخلاق الله ، والتخلق بأخلاق الله هو العمل برسالة الدين فى كل وقت .... طلب اليهم أن يحاكوا صفات الله فى أنفسهم .... فيسعون الى :

الغنى ،

والعلم ،

والحياة ،

والارادة والمشيئة (الحرية) ،

والخلق .

... ويتمثلون تلك الصفات ، وما اليها من صفات الله .... فى السلوك العملى ... وفى التفكير على السواء .

.... وليس السعى الى الغنى هو جمع المال ، أو كثرة الأولاد ، وقوة العصبية ... ليس هو جمع المال : لأن المال يأتى ويذهب ، فهو عرض لا يدوم مع الانسان .... وليس هو كثرة الأولاد وقوة العصبية لأن : كثرة الأولاد ، وقوة العصبية قد تكون سبباً للضعف ، وللحاجة والفاقة ... وليست عاملا فى الاستغناء والاكتفاء .

... ولكن الغنى الذى يجب أن يسعى الى تحصيله الانسان العابد المتقرب الى الله هو : تلك الصفة التى لله ، وهو الغنى الذاتى ، وطريق تحصيله تدريب النفس على القناعة ، وعلى الاكتفاء ، والتعفف عن السؤال .

والقناعة ليست صبراً عند الحاجة ، ودفعاً لهذه الحاجة بامساك النفس عنها ، بل بالأحرى : هى امساك للنفس عند وجود المطلوب لها ، ويسر الحصول على المزيد منه ، ثم زهد فيه وترفع فوقه .. القناعة : أن يكون فى

ملك الانسان ما ترغب فيه النفس ، ثم يعف الانسان عنه ، ويتنازل عنه لغيره ، فى رضـــاً واطمئنان نفس ... القناعة لا توجـــد ، الا اذا توفرت هـــذه العناصر :

(أ) الرغبة فى شىء ،

(ب) وملك هذا الشىء واقتناؤه ،

(جـ) وامكان التصرف فيما هو مملوك ومقتنى ،

(د) والانصراف عنه ، طواعية واختياراً ،

(هـ) ويسر فى التنازل عنه للغير ، فى رضاء واطمئنان .

... فالعاجز عن أن يصل الى وظيفة ما ، اذا لم يطلبها لا يكون عدم طلبه اياها غنى وقناعة ، ولا يكون له فى تدينه صفة القربى من الله الغنى .

... والذى لا يجد الحياة المترفة ، لأنه لا يستطيعها ، ثم يصبر عنها ولا يسعى اليها ، ليس غنياً غناء ذاتيا . لأن عدم استطاعته الحصول عليها ، يحول دون أن يكون مختاراً فى الانصراف عنها ... وبالتالى لا يعطيه خلق الغنى الذاتى .

... وفريضتا الصلاة والصوم لا يقصدان لذاتهما ولا لهيئتهما . اذ هما — على ما هما عليه — وسيلتان للتخلق بأخلاق الله فى كسب القربى من صفاته جل وعلا . مهما سما العابد فى تقربه من ربه ، فهو العـــابد دائما ، والله المعبود دائمـــا . ولن يتحول العابد الى معبود . ولن يذهب الفرق بين الخالق ومخلوقه .

... وعلى نحو تحصيل الغنى فى ذات الانسان ، يكون تحصيل بقية الصـــفات ، من علم وحياة ، وقدرة ، وخالقية ... وغيرها ... التى هى فى الله المعبود .

وتحصيل تلك الصفات يتطلب أن يبقى الانسان فى معركة الوجود ، وفى داخل اطار حياة المجتمعات الانســـانية ... يتطلب أن يكون الانســـان هو الانسان المكافح ... هو الانســـان الســـاعى ... هو الانســـان الايجابى فى حركاته واتجاهاته ، وليس الانســـان السلبى والانعزالى . اذ السلبية أو الانعزالية ، طرح للوجود البشرى وخصائصه كلية ، وهروب من الحياة الانســـانية ، وانطواء على الذات وحدها ، واتجاه نحـــو الفناء أو تقصـــد الى هـــذا الفناء .

... فالروحية الجامحة خروج بالانسان عن وضعه فى الحياة ، وعن طبيعة وجوده . وهنا تصور الآية القرآنية التالية ، الانسان فى وضعه الطبيعى ، تصويراً واضحاً ... تصوره على انه : هو الانسان المكافح الايجابى ، فى حركاته واتجاهاته ... تذكر سورة النساء فتقول :

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً . درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفوراً رحيما »(١) .

... فهذه الآية لا تسوى بين اثنين ، ممن اشتركوا فى الايمان الواحد .. لا تسوى بين المجاهد بالمال ، والنفس فى سبيل الله والصالح العام ... وذلك القاعد المتخلف ولكن ليس له ضرر ولا يصدر عنه ايذاء لمجموعة المؤمنين . اذ أحدهما ، وهو المجاهد ، باشر وضعه الطبيعى فى الحياة : فقدم ماله ونفسه لنصرة الحق على الباطل ونصرة الخير على الشر وما لله على ما للشيطان ... بينما الآخر لم يباشر مهمته فى الحياة ، وهى مهمة المكافح المناضل ، ولم يأخذ ذاته بالاعداد لهذا الكفاح ، أو لم يبلغ فى هذا الاعداد مبلغا يحمله على المباشرة والخروج عن القعود والتخلف .

فلكى يبقى الانسان هو الانسان الطبيعى ، المكافح ... يجب أن لا تنمى روحيته على حساب قواه الفطرية وهى غرائزه .. يجب أن يسلك المسلك المعتدل ، ويجنب نفسه المبالغة فى طول مدة الصوم .

● ... ومن هنا أيضاً : كان النظام السياسى الذى يحول بين الفرد وبين الاقتناء والتملك للمال ، ومتع الحياة ، فى صورة ما ، طوال الحياة التى يعيشها ... نظاما غير طبيعى ، لا يتمشى مع خصائص الطبيعة الانسانية ، ويحول دون سعى الانسان على المحافظة على بقائه الانسانى .

... فغريزة التملك والاقتناء غريزة أصيلة فى الانسان ، لا تفنى بحال ، وان كانت تكبت فيه حينا ما . وهى الغريزة التى يؤمن بها الانسان حياته القادمة ، ضد الجوع ، والخوف منه ، وضد القلق على مصيره ومستقبله ... هى القوة الفطرية فى الانسان التى تزيد فى نشاطه ، وتدفعه بطاقات متجددة نحو العمل وتحصيل ثمرته .

ولو كبتت هذه الغريزة ، بحظر التملك وتحريم الاقتناء ... فالحوافز

---

(١) النساء : ٩٥ .

الشخصية نحو العمل تدخل مرحلة الفتور ، وربما تتوقف ، ويصبح الانسان عندئذ ذا نظرة يائسة فى تقديره لوجود نفسه وحياته .

ان المـــال وما يقتنى من متع هـــذه الأرض ... أمر له أهميته فى حياة الانسان ، وله خطره عليها كذلك :

« المـــال والبنون زينة الحياة الدنيا »(١) .

« انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا »(٢) .

... له أهميته لارتباط كيان الانسان فى حاضره ومستقبله به ارتباطاً قوياً ، ولاتصال طمأنينة النفس وهدوئها بوجوده بين يديه .

... وله خطره على حياة الانســـان نفسها ، اذا بالغ الانســـان فى قيمته . وحرص عليه لذاته ، وليس كوسيلة يستعين بها فى أداء رســـالة الانســـان على هـــذه الأرض ، وتجاوز به وظيفته الاجتماعية التى له ... الى اعتباره : موضوعاً للعبادة ، أو مصدراً لاستغلال بشرية الآخرين معه فى المجتمع ... أو سببا للترف والعبث أو الافساد :

« فأما الانســـان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن . واما اذا ما ابتلاه فقدر عليـــه رزقه فيقول ربى أهانن . كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضـــون على طعام المســـكين . وتأكلون التراث أكلا لمـــاً . وتحبون المـــال حبا جما »(٣) .

... غريزة التملك والاقتناء فى طبيعتها ، كأية غريزة أخرى ، قابلة لهذا الازدواج ... قابلة لأن يتجه بها لحفظ كيان الانسان وحياته من الفناء والوقوف بها عند هذا الحد ... وقابلة أيضا لأن يتجه بها وراء ذلك نحـــو عبادة المـــال ، أو الاستغلال البشرى ، أو العبث والافساد عن طريقه .

والتربية أو التوجيه ، أو بعبارة أخرى ، عقل الانســـان : هو العامل الفيصل فى تحديد الاتجاه ، وجعل الملك والمـــال وما يقتنى ، خيراً على صاحبه وعلى من معـــه فى مجتمعه ونفعاً لهم ، ... وليس شرا يصابون جميعا بأذاه وضرره .

واذا كانت الرغبة فى الملك والاقتناء أمراً فطرياً ... فتحريم التملك ومنع الانســـان من الاقتناء **كنظام مستمر ودائم ليس علاجا للانحـــراف بسبب المـــال .**

---

(١) الكهف ٤٦ .
(٢) الكهف ٧ .
(٣) الفجر : ١٥ — ٢٠ .

لأن التحريم المطلق عندئذ ، صد لطبيعة الانسان ، ومحـــاولة لانتزاع مصـــدر دفع قوى فيه ، يعتمد عليـــه فى ســـعيه والتغلب به على العقبات التى تواجهه .

ولذا : فمنع الملكية الفردية فى نظام الحكم يعتبر غير ملائم للطبيعة البشرية ومضادا لفطرتها .

أما تحديد الملكية أو انتزاع المـــال من أيدى العابثين به ، وجعله ملكية عامة فى نظام اجتماعى للحكم ، فيعتبر علاجا واجبا ومشروعا ضد الانحراف بالمـــال عن وظيفته :

ففى هذا التحديد رعاية الغريزة الفطرية فى الانسان ، وهى غريزة التملك والاقتناء ، مع ضمان عدم الاستغلال البشرى ، أو ضمان عدم العبث والافساد عن طريق وفرة المـــال ... فهو كعلاج بحيث لا يصير المـــال غاية فى ذاته يحافظ عليه ، ويتجه الانسان بعبادته اياه .

... ومع كون تحديد الملكية فى النظام الاشتراكى يعتبر علاجا ملائما للطبيعة البشرية ضد الانحراف بالمال ...

... فان فاعليته فى توقيته ، وليست فى اطلاقه واستمراره كنظام دائم لحياة الأفراد فى المجتمع . والا صار الأمر فى النهاية غير ملائم للفطرة البشرية ، ومساوقا عندئذ لمنع الملكية الفردية منعا مطلقا على نحو ما فى النظام الشيوعى.

ولأن غريزة التملك والاقتناء ، كأية غريزة أخـــرى ، لها صلاحيتها فى ذاتها نحو الضرر والنفع ، قبل تدخل التوجيه فيها . ليس من الصواب فى الرأى أن تعقد موازنة بين الملكية غير المحدودة .... والاشتراكية : فى ايتهما أكثر ضرراً على المجتمع ؟ . اذ كل منهما تعقب الأخرى ، وكل منهما تقتضيه ضرورة المجتمع وظروفه ، وان كانت ضرورة احداهما وظروفها تختلف عن ضرورة الأخرى وظروفها .

... فطالما تخـــدم حرية التملك والاقتناء علاقات الأفراد بعضهم مع بعض فى المجتمع ولا يصحبها أذى ، ولا استغلال وانحراف وعبث ولا فساد ... فالوضع فى المجتمع لهذه الحرية ولنظام الملكية اللامحدودة .

فاذا أدت حرية الملكية الفردية الى تلك النتائج السيئة فى المجتمع ، وفى علاقات الأفراد بعضهم مع بعض ... فالحد من هـــذه الحرية فى التملك والاقتناء أمر ضرورى ، تقتضيه ظروف المجتمع عندئذ ، ويتطلبه كيان المجتمع نفسه وبقاؤه . والنظام الاشتراكى عندئذ ... هو العلاج الواجب لفترة ما ، لاجتناب الأضرار ، وتفكك العلاقات وتدهور المجتمع ذاته .

واذن الأخذ بأحد النظامين ، يتوقف على وضع المجتمع نفســـه . **وعلى كل حال ليس واحد منهما بنظام مطلق أو دائم .**

والاسلام فى ذاته ليس نظام الملكية اللامحدودة .. ولا نظام الاشتراكية ... وانما كما تنطوى مبادئه على حرية التملك والاقتناء ... تنطوى على عدم طغيان المال والانحراف به فى غير وجهه المشروع .

والأساس فى ذلك : أن المجتمع الاسلامى ليس مجتمعا أرضيا خالصا ، ولا منعزلا عن السماء انعزالا تاماً ... بل هو مرتبط بالله الخالق الذى له ملك السموات والأرض .

ومما له فى الأرض ما يقتنى ويتملك ويسعى الانسان الى اقتنائه وتملكه والمال عندئذ مال الله . وملك الناس لهذا المال استخلاف عليه ، هو أشبه بالأمانة عندهم يجب صونها من التبديد والعبث بها :

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما آتاكم ... »(١) .

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير »(٢) .

وما يملكه الانسان فى نظر الاسلام ليس بسعيه وحده ... وانما هو كذلك رزق من الله ، وفضل منه كذلك :

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ... »(٣) .

... وبهذا الازدواج فى النظرة الى المال كانت حرية التملك من جانب ... وكان عدم الطغيان فى الملك من جانب آخر .

... وبسبب هذه المزاوجة أيضاً :

كان المال مال الله وملكاً له اصلا ، ان وقع فى أيدى الافراد بأية وسيلة من وسائل التملك والاقتناء .

... وكان الانسان مستخلفاً عليه فى هذه الأرض ، والمال لذلك أمانة لديه ... فملكه اياه ملك موقوت ... والملك والمال رزق من الله ، وفضل منه .

... وفى الوقت نفسه يحصل بسعى من الانسان ، وعمل له فى الحياة .

---

(١) الأنعام : ١٦٥ .
(٢) الحديد : ٧ .
(٣) البقرة : ٢٦٧ .

فمباشرة المؤمن بالاسلام لملكية المـــال مباشرة فيها حيطة . وفى واقع أمرها ليست مباشرة مطلقة ، ولا قائمة على الحرية الفردية ، التى لا يدخلها التحديد . وانما الحرية التى تقوم عليها هذه المباشرة : «حرية مشروطة» ... هى مشروطة بالحدود التى وردت فى القرآن ... وكذا بالرقابة والخشية من الله التى تنبع من ايمان الفـــرد به ، وتنبع من ضـــميره الذى قام على هـــذا الايمان .

وتلك الشروط التى تقيد حرية المباشرة فى الملك والمال ، هى فى واقع الأمر ... الضمان لعدم الطغيان ... والضمان لعدم الانحراف والعبث به والافساد عن طريقه .

... ومع وجود القيود فى حرية التصرف فى المـــال وفى مباشرة انمائه وانفاقه ، فانها قيود مقبولة لدى المؤمن بالاسلام . لأنه دخل عليها وآمن بها ، واستعد للتضحية فى سبيل ما آمن به . فلم تفرض عليه من انسان آخر معه فى المجتمع . وانما هى حق الله الذى اتجه اليه المؤمن بعبادته ، وأخذ فى سبيله العهد والميثاق على التضحية بالمـــال ، والنفس ، والولد .

فالمؤمن هنا ليس مكرها على ايمانه ، بل هو مختار فيه ، ولم يلزمه غيره به . بل هو الذى أخذ نفسه به ، وقبله كعهد يجب الوفاء به . وفى الواقع عندئذ : هذه الحرية المشروطة ، هى اختيار صريح تتمثل فيه ارادة الانسان ، كما يتمثل فيه عزمه وانسانيته .

وبهذه الذاتية تتميز نظرة الاسلام الى المال عن نظرة الاقتصاد الحديث اليه ، فى أى اتجاه من اتجاهات هذا الاقتصاد .

... فالرأسمالية فى الاقتصـــاد الحديث ، وان أسست نظرتها على الحرية الفردية والعناية بها الا أنها لم تكون فى الفرد **خلقية اجتماعية** يصـــدر عنها فى مسلكه فى تنمية المـــال ، والانفاق منه ، والقوامة عليه . ولذلك هى حرية مهددة بطغيان الأنانية ، والانحراف الى الاستغلال غير المشروع . وهو الاستغلال الذى يمهد عادة الى حتمية الاشتراكية .

... والاشتراكية نفسها فى توجيهها المال لصالح المجتمع بوســـيلة ، أو بأخرى ، لم تقم هذا التوجيه على تلك **الخلقية الاجتماعية** . بل اقامتها على اساس من تشريع الدولة ، وعلى القوة المـــادية التى تراقب نظام الدولة وقوانينها ، وتمكن لها فى أن تأخذ طريق التنفيذ فى المجتمع ... وهى قوة الحراسة أو الشرطة والجهاز الادارى ، وحكم القضاء .

ولذلك ـــ مع كون المال للمجتمع فى الاشتراكية ويستهدف الصالح العام ـــ لكل فرد فيه نصيب ... فأسلوب النظام الاشتراكى فى حاجته الى التأمين من الانقضاض عليه ، والارتداد فيه ... يكثر من التشريعات وتعقيد الأجهزة وتركيبها أكثر من أسلوب الحكم الرأسمالى .

وهذا دليل على عدم وجود هـــذه **الخلقية الاجتماعية** كذاتية فى أفراد المجتمع ، تدفعهم بدون رقابة خارجية الى الامتثال والبعد عن التلكؤ فى التنفيذ ، أو فى محاولة تبرير المخالفة والانحراف .

وضمان بقاء النظام الاشتراكى ، واتيانه ثمرته من أجل هـــذا ... مرهون بمدى « الايمان » به وبعمق هـــذا الايمان ، والطريق معبد لايمان جمهرة الأفراد به ، لأنه يمس حياتهم مسا قويا فى دفع أضرار الحاجة عنها ، ووقايتهم من مذلة استغلال البشرية ، وصون اعتبارهم الانسانى .

فاذا آمنوا به وتفاعلوا فى سلوكهم وفى تصرفاتهم مع هـــذا الايمان ، أديت الواجبات وأخذت الحقوق ، فى غير عنت ولا ارهاق ، وفى غير التواء واعوجاج : وتلك هى غاية الاشتراكية . لأنها أخيرا تستهدف المعـــانى ، وان سلكت الى ذلك مسلكا ماليا أو اقتصاديا .

والشيوعية عجزت حتى الآن عن أن تحول الفلسفة الماركسية الى عقيدة وايمان بها ... الى « دين » كما تريد ، بسبب خطأ كبير وقعت فيه . وهو اعلانها فى وضـــوح من أول الأمر : عداءها للمســـيحية ، كعقيدة وكدين ، ترسب الايمان به فى نفوس الشعب منذ قرون وأجيال عديدة .

اذ أن هـــذا العداء العقيدى من شأنه أن يخلق صراعا عقيديا ... صراعا لا شعوريا أو صراعا مكبوتا ، تبدو ترجمته فى صور مختلفة ، وبعيدة عن الترسم والتعقب من القوة المادية الحارسة . وكلما طالت القرون التى مرت على العقيدة الأولى كلما كان الصراع العقيدى من أجل عقيدة جديدة مريراً وطويل الأجل .... وكلما احتاجت العقيدة الجديدة الى طاقات قوية فى تثبيتها والتركيز فى توجيه الايمان نحوها .

... كان للشيوعية أن تعادى الكنيســـة الشرقية . كنظام له سلطة بجانب سلطة الدولة وتفصل بين الكنيسة كنظام يتبنى المسيحة ، فى خطـــأ أو فى صـــواب فى الفهم والتطبيق ، وبين المســـيحية : كدين ينطوى على : « خلقية انســـانية » لها تأثيرها غير السلبى على سلوك الأفـــراد فى أدائهم لواجبهم وأخذهم لحقوقهم وبذلك كان يمكن أن تتفادى : أولا العداء العقيدى داخل الشعب الشيوعى ... وثانيا تتجنب مخاصمة الكنائس الأخرى ، وبالأخص الكنيسة الكاثوليكية فى الفاتيكان .

● .... ومن هنا أيضاً كان النظـــام الذى يفرض السخرة فى العمل بطريق مباشر ، أو غير مباشر ... نظاماً لا يلائم الطبيعة البشرية ، ولا يتفق وفطرة الانسان التى فطر عليها .

فنظام الملكية المطلقة ،
وكذا نظام الاقطاع فى الزراعة ،
ونظام الرأسمالية فى الصناعة ... نظم غير طبيعية .

.... ومن هنا كانت معارضة ... ومن هنا كانت الانقلابات الثورية التاريخية . وهى انقلابات خاضعة لسنن انسانية طبيعية . وداخل هـــذه الثورات ... رسالات الرسل والأنبياء . لأنهـــا ثورات على الاســـتبداد والطغيان ، وعلى الاقطاع وانتهاك الحرمات الانسانية .

.... ذلك ضد الطبيعة البشرية ، لأن غريزة الاقتناء أيضاً تتجه بحكم فطرتها الى تملك كل ما يسعى الانسان لتحصيله فى الحياة ، ضماناً للمحافظة على البقاء الشخصى .

وانانية الانسان وأثرته ليست الا صورة مكبرة لما تتجه اليه هذه الغريزة فيه ، ... وان كانت صـــــورة غير مقبولة من الوجهة الخلقية السلوكية ، والاجتماعية .... لكنها عنوان على فطرة من فطر الانسان .

فاذا كلف انســـان بالعمل لغيره ، دون أن يؤجر شيئاً أو بأجر غير متكافىء للعمل ، فان ذلك يثير فى نفســـه المعارضة مع الحقد والضغينة ، ويدفعه اما : الى الأخذ من ثمرة العمل فى خفاء ، أو الى الاستخفاف والتهاون فى العمل نفسه ، أو الى اعلان عدم الرضا ، ثم المقاومة . والصـــــورة الأخيرة هى صورة الانقلاب أو الثورة .

... والماركسية اذا استشهدت بأحداث التاريخ على ضرورة الثورة العمالية وحتمية حكم الطبقة العاملة فذلك : لأن نظام أى حكم انسانى وقع فيه قطعا ما لم يحقق الملاءمة الواضـــــحة مع الفطرة البشرية ، ويسير مع السنة والقوانين التى تحكمها . والتاريخ هو مجموع أحداث البشرية كلها : فالحكم المطلق ، أو الملكية المطلقة ، قام على أســـاس : أن الملك وحده هو الذى يملك ، وأن من عداه فى حكومته أو فى رعيته فى خدمته .

ولعل الانسان فى هذا النظام أراد أن يتشبه فى الأرض باله السماء ، فى وجوب أن يتجه اليه الناس جميعا بالعبـــــادة .... وأنهم عبيده بحكم خلقه اياهم !

... ولكن اله السماء لا يأخذ من خيرات الأرض شيئا ، بل هى لهم

وحدهم . وقصد فقط من توجيههم لعبادته ، أن تكون معيشتهم من خيرات هذه الأرض فى غير احتـــكاك وخصومة فيما بينهم ، وفى غير حقد وضغينة فى نفوسهم . فالأرض وخيراتها لهم ، والعبادة ثمرتها أيضاً عائدة عليهم هم ، دون اله السماء الخالق نفسه ، فهو الغنى عنهم وعن عبادتهم .

والأساس الذى يقوم عليه هـذا الحكم الانســانى المطلق اذن ... أســاس يثير المعارضة والضغينة والحقد . لأنه يؤدى الى تجاهل غريزة الاقتناء فى الانســان وهى الغريزة التى تدفع الى حيازة ثمرة العمل والسعى الفردى والى تملكها ... دون مشاركة للغير فيها اطلاقاً ... وهو اتجاه الأنانية .. أو مع مشاركة خفيفة بحيث لا تثير هـذه المشـاركة فى نفس العامل احساسه بما يسمى بالظلم أو الاعتداء ..

ولا يختلف بعـد ذلك حسب توارد أحداث التاريخ البشرى : نظاما الاقطاع والرأسمالية عن نظام الملكية المطلقة ، فى التغاضى عن ما فى الانسان من ميل الى الاقتناء وحيازة ثمرة العمـل ، ولا فى التأدية الى الاحساس ، بالظلم ، والشعور بالاعتداء على الحق الطبيعى عند العامل فى المزرعة كأجير أو مستأجر ، والعامل فى المصنع فى أى مستوى ، لأنه طالمـا كانت حصيلة العمـل من الربح يقع المعظم منها فى يد المالك ، أو فى يد صاحب العمـل ، والمالك وصاحب العمل قليل العدد عادة ... ويقع القليل الباقى من هـذه الحصيلة فى يد الأجير أو المستأجر أو العامل ، وهو كثير العدد عادة ... فجو الحقد والضغينة قائم ، وأسباب المعارضة فى النفوس ، فالمقاومة ... حاضرة ..

واستبدال الحكم المطلق بسيادة الاقطاع ، ثم بسيادة الرأسمالية بعد ذلك ، لم يغير الأساس الجوهرى : وهو التغاضى أو تجاهل الغرائز الفطرية فى الانســان .

... وحكم الطبقة العاملة فى النظام الشيوعى ، اذا لم يحقق الملاءمة والتوافق مع غرائز الانسان البشرية ، فمصيره لا يختلف عن مصير أى حكم سابق عليه من اثارته للمعارضة ، فالمقاومة ، فالثورة والانقضاض عليه .

لأن الحكم السليم ليس حكم فرد أو فئة ، أو طبقة خاصة ، وانمـا سلامته رهن بانسجامه مع طبيعة الانســان وميوله التى تتكون منها هذه الطبيعة .

... وكون تاريخ الحكم ونظامه فى المجتمع الانسانى قد مر بأدوار انتهى بها الآن الى حكم الطبقة العاملة ، لا يبرر بقاء حكم هـذه الطبقة لذاتها الى

آخر تاريخ الانسانية ... بل ربما يعود الحكم الى صورة من صوره الماضية ، ان توفرت الظروف لذلك .

... ومن بين هـذه الظروف حتماً وجـود ما يبرر الانقلاب فى حكم الطبقة العاملة . وليس ما يبرر هـذا الانقلاب فى نظامها للحكم ، الا عـدم مراعاة الميول الفطرية فى الانسان ، وتجاهلها أو التغاضى عنها فترة طويلة .

ورسالات السـماء هى ثورات ضد نظام الحكم أيضاً . وهى ثورات المستضعفين ضـد طغيان الطغاة ... هى ثورات الغاضبين على الظلم والاعتداء على الحقوق الطبيعية .

والحقوق الطبيعية : هى الحقوق التى تساوق الانسان وفطره ... أو هى التى تدعو اليها تلك الميول والفطر : كحق التملك ، وحق النسـل ، وحق السعى والعمل ، وحق الدفاع عن النفس ، وحق المشـاركة فى البقاء الانسـانى ، وحق الذات فى التعبير عن وجودها الخـاص ، بما يكفل لهـا الحـرية الفردية .

فأى اشراف فى القبيلة ، وأى نظـام فى المجتمع ، يعامل أفراده بعضهم بعضا على أساس منه ، وأى عرف قائم يسود الشعب فى سلوكه يؤدى الى اهدار هذه الحقوق كلها أو بعضها ... ينتهى بالاستعداد النفسى الى تغييره، وتقبل النظـام الجـديد الذى يحقق المسـاواة فى تلك الحقوق . أو بعبارة أخرى ... تقبل ذلك الحكم الذى يرد الحقوق المسلوبة الى من سلبت منه ، وهم الكثرة فى العادة .

ولأن هؤلاء الكثيرين قد سـلبوا تلك الحقوق فترة من الزمن ، اعتبروا ضعفاء أو أذلاء فى نظر من اغتصبها منهم ، وهو صاحب الرياسة فيهم .

ورسالات السماء مع تعدد الرسل هى واحدة ... هى الاسلام :

« ان الدين عند الله الاسلام »(١) .

ويستحيل أن تكون هذه الرسالة السماوية متعددة فى ذاتها وموضوعها . لأنها لمساعدة الضعفاء فى استرداد حقوقهم الطبيعية المسلوبة .. لأنها لاعادة الوضع الطبيعى فى علاقات الأفراد بضهم ببعض .. لأنها للمساواة ... لأنها لرفع الطغيان . والمساواة هى : أن يمكن صاحب الحق من حقه . ودفع الطغيان هو : أن لا يغلب صاحب الحق على حقه .

واذا كان قوام تلك الرسالة الالهية : استرداد الحق المسلوب ، وتمكين صاحبه منه ... اذا كان قوامها : المساواة فى الطبيعة البشرية والاعتبار

---

(١) آل عمران : ١٩.

البشرى والحقوق الطبيعية ، ودفع الطغيان والعبث بالحقوق ، فليست متعددة ولا متغيرة .

... كلها تنادى : بعدم الشرك فى الألوهية . اذ الشرك فى الألوهية ظاهرة تسود فترة الطغيان ، والاستضعاف فالذى يتعلق بعبادته بمن لا يملك النفع والضر ، ضعيف ، بلغ من ضعفه : أنه يطلب النجدة ممن لا يملكها . والذى يتجه بعبادته الى القوى من الانسان فترة قوته ، ضعيف أيضاً ، يخشى طغيان القوى وجبروته فى انتهاك الحرمات الانسانية والوجود الانسانى الفردى .

... ان الشرك ، والطغيان أمران متلازمان . وجد الشرك كظاهرة اجتماعية ، فكان دليلا على الطغيان فى الحكم ... وجد الطغيان فى حكم الانسانية فلا بد أن يوجد الشرك فى المجتمع كظاهرة فيه . ولو بعد فترة تنقضى من حمكه .

... وان الوحدة فى الألوهية ، وان العدل فى المجتمع أمران متلازمان أيضا فيه : لأنه اذا تحقق العدل ارتفعت عبادة الانسان الى ما فوق الانسان من قوى اعظم منه .. اذا تحقق العدل لا يكون هناك قوى وضعيف ، وانما الكل قوى . واذا لم يوجد ضعيف فليست بالقوى حاجة الى غيره ، أو خشية منه وأساس الشرك ضعف واستضعاف ، وذلة واستذلال .

ومن هنا كانت الوحدة فى الألوهية مركز الرسالة السماوية . وكانت دعوة الرسل جميعاً : « **والهكم اله واحد ، لا اله الا هو** »(١) « **له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير** »(٢) .

... أما العدل ، والمساواة ، ورعاية الحرمات ، ورعاية العلاقات بالسلوك المهذب .... وغير ذلك من الوصايا والمبادىء .... أما الأوامر والنواهى ... أما الحل والحرمة ، التى جاءت بها الرسالة السماوية بعد ذلك فأمور تتفرع حتماً عن : الايمان الخالص بوحدة المعبود ، وعدم مشاركة غيره : من انسان ، وحجر ، معه فى الألوهية والعبادة .

وكانت هذه الرسالة السماوية **هى الاسلام** . لأن اسمه يرشد توا الى غايته : وهى السلام ... هى استقرار النفوس واطمئنانها وسلامتها ، وعدم نفرتها فى علاقة بعض هذه النفوس مع بعض وليس الاسلام لذلك : دينا خاصا هو دين محمد عليه الصلاة والسلام وانما هو دين كل رسول أرسل الى الناس .

---

(١) البقرة : ١٦٣ . (٢) التغابن : ١ .

... وليس وجود الاسلام لذلك ... منذ بعث الرسول العربى الأمين : محمد صلى الله عليه وسلم ... وانما منذ أرسل ابراهيم عليه السلام .

يقص القرآن الكريم فى وصف ظروف رسالة موسى عليه السلام :

« طسم . تلك آيات الكتاب المبين . نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، انه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون . »(١) .

وعلى هذا النحو ظروف رسالة كل رسول :

أغلبية ساحقة مستضعفة ، مهدورة الكرامة ، مهضومة الحقوق الطبيعية للانسان ، وقلة حاكمة مستبدة ، ظالمة طاغية ، تنظر من عل الى ما بعدها من الأفراد ، وتستحوذ على خيرات الأرض ومتعها :

« ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ، أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين »(٢) .

والفرق بين ثورة الاسلام — كرسالة للسماء عموماً — وبين أية ثورة أخرى انسانية فى تاريخ البشرية أتى بها الانسان ، دون ارتباط بالسماء ... أن :

تلك دين وعقيدة ، وهذه لها فلسفة ومذهب .

والدين والعقيدة أكثر قوة فى الدفع ، وأطول مدى وعمقاً فى التأثير .

وأن الفلسفة أو المذهب الفكرى للثورة الانسانية الأرضية ، تأثر فى تبريره ، وتخطيطه بجانب معين لدى الانسان ، بحيث لا يخلو من غرض ما ، أو رغبة بشرية ما .

أما الدين فظاهرة : « التجرد » فيه عن الرغبات والأعراض واضحة ، لأنه ارتبط بالسماء ، وفوق ما فى هذه الأرض مما يرغب فيه الانسان ، أو هو يهدف للحصول عليه . فليس ثمة فيه غرض دنيوى أو أرضى لمن أوحى

---

(١) القصص : ١ — ٦ . (٢) الزخرف : ٥١ — ٥٣

الرسالة أو جاء بها . ولذا فصلاحيته : لأكبر عدد ممكن من البشر ، ولأطول وقت ممكن لأجيال عديدة ..... صلاحيته ذاتية ، وانسانية .... مستمرة .

....ولكن قد تخرج ثورة الاسلام ، كرسالة السماء عموما ، عن تلك الصلاحية الذاتية ، لو استخدم الانسان الدين كوسيلة للحكم ، واستغل تلك الرسالة كعقيدة ترسبت فى النفوس وتعمق الايمان بها ، **فى تثبيت وضع سياسى لحكم معين ، أو فى تأييد نظام خاص لفريق معين** . عندئذ تكون تلك الرسالة خطراً على المجتمع .... أو بعبارة أخرى يكون استغلالها والانحراف بها عن وضعها السليم ، لا يقل فى تأثيره عن طغيان الاستبداد الفردى ، أو الطبقى ، أو القبلى ..... لأن الدين عندئذ أصبح فلسفة تبريرية لنظام حكم خاص ، وتأييد وضع سياسى لفرد أو مجموعة خاصة من الأفراد فى المجتمع .

ولو وضح للناس : أن الدين على يد المشتغلين به والمنتسبين لرسالته ، تحول الى فلسفة انسانية ، وخرج عن كونه رسالة السماء ، يجب الايمان بها .... لزال خطر الاحتراف بهذا الدين ومن ثم يقبل عندئذ المناقشة ، والمعارضة ، والمقاومة ، كأية فلسفة لأى نظام حكم .

والمعارضة الفكرية التى تكررت فى تاريخ الفكر الأوروبى للمسيحية ، وكذا مقاومة الدين فى الفلسفة الماركسية أخيراً .... وقعت هذه وتلك ، بسبب : استغلال رجال الكنيسة لرسالة السماء فى سلطة أرضية وتثبيت نظام حكم معين . وهو حكم الكنيسة على هذه الأرض باسم السماء .... بعد ما ظهر فساد هذا الحكم ومال الى الطغيان والاستبداد وحرمان الفرد من حرية الفكر ، وحرية البحث العلمى فى القرون الوسطى .

.... ولو بقيت المسيحية فى جوهرها ، لم تدخل عليها اضافات مؤولة أو شارحة أو مبررة ، وبقيت دعوة لم تتبلور فى الحكم الكنسى ، وباسم ملك الهى على الأرض .... لكانت المعارضة لها ، لو وجدت .... موجهة الى المستغلين والمتحرفين بالدين .... بدلا من أن توجه للدين نفسه .

وقد واجه الاسلام ، على عهد العثمانيين ، كثيراً من التحدى والنقد ، والنقد المغرض أحياناً ، بسبب ما خالط حكم هؤلاء من فتاوى العلماء ، التى وضعت لخدمة الحكم نفسه وتثبيت دعائمه ، بغض النظر عما يتجه اليه الاسلام نفسه كرسالة للسماء ، وكدعوة ثورية على الطيغان ، والاستذلال والفساد .

وكما أساء رجال الكنيسة الى المسيحية فى أوربا ، أساء علماء العهد

العثمانى الى الاسلام فى الشرق ، وان كان الفرق : أن رجال الكنيسة كانوا فى خدمة أنفسهم ... بينما العلماء كانوا فى خدمة سلطان غيرهم ! .

● ... ومن هنا أخيراً : من ضرورة مراعاة ازدواج الطبيعة الانسانية وتركيبها من عقل وغريزة ، تجب مراعاتهما معا ... كان القصد فى أى نظام سياسى للمجتمع الى تعويق التنوير الذهنى والعقلى ، واشـــاعة الأمية بين أفراده ... ضد الطبيعة البشرية وغير ملائم لفطرة وجدت عليهـــا ، وهى فطرة العقل .

... لأن اهمال العقـــل فى شحذه وتدريبه على التفكير والاستنتاج ، وممارسته الحكم واستخلاصه المبادىء العامة ، من الجزئيات العديدة المنثورة ، ومباشرته ادراك سنن الكون وظواهر الطبيعة التى يعيش فيهـــا ... مؤد حتما الى ترك الغرائز تأخذ طريقاً لا يتسم بالانسانية ... وبالتالى لا يحقق هدف طبيعة الانسان ، بما وجدت عليه من تركيب وازدواج .

... ان ازالة الأمية الفكرية بالتعليم ، وتحصيل المعرفة لدى كل فرد فى المجتمع ، تفرضه طبيعة الانسان على نفسه ، كى يكون سعيه مستهدفاً بقاءه النوعى والفـــردى ، وكى يتمكن هو ، فى مواجهة الكائنات الأخـــرى الأقوى منه فى الاستعدادات الغريزية ... من السيادة على نفسه والتحكم فى توجيه الغرائز ، والتفوق على ما عداه فى رسالته على هذه الأرض وهى رسالة الخير والسلام .

وربما ، اذا ما أهدر اعتبار العقل البشرى فى نظام سياسى للحـــكم ، يقوم على اهدار هذا الاعتبار ... لا يكون له صدى المعارضة والمقاومة ، على نحو ما اذا صودر اعتبار احدى الغرائز الأساسية فى الانسان ، كغريزة المحافظة على البقاء أو غريزة الجنس ، أو غريزة الملك والاقتناء فى نظـــام سياسى آخر .. ربما لا يكون له صدى المقاومة الفردية أو الجماعية .

... ولكن التخلف فى التنوير العقلى الانسانى نفســـه الذى سيتفشى بين أفراد المجتمع عندئذ ، سيحمل حتماً على تغيير النظام الســـياسى للحكم القـــائم بعد فترة .. لأن أفراد المجتمع آنذاك لا تكون لديهم صلاحية البنـــاء البشرى السليم .

... من ثم فهذا النظام السياسى سيواجه مشقات عديدة ، لا فى تثبيته وبقائه فحسب ، ... وانما فى الاستمتاع به من جانب الحريصين عليه ..

اذ أن أى نظام سياسى للحـــكم ، جاء نتيجة لثورة أو تغيير انقلابى ، مهما حرص القائمون عليه ... على تحقيق المصلحة العامة . فانه لا ينعدم

عنصر الجاه لديهم وهو متعة أيضاً ، بين دوافع الابقاء على هذا النظام من جانبهم .

وكلما كان التخلف فى التنوير العقلى ذا صلة بالخرافات ، تضاعفت الصعوبات فى طريق النظام السياسى الخاص .

وربما كانت هذه الخرافات السبب المباشر فى الثورة المقبلة ، أو الانقلابات المنتظرة .

فالخرافة صورة من صور العقيدة . ولكنها أشد تأثيراً فى النفوس ، وأقوى دفعاً على التمسك بها من العقيدة السليمة ... فعنصر « لا معقول » يضاعف من أثر العقيدة وقوتها . والخرافة تتسم باللامعقول ... وربما باللاممكن فى كثير من صورها .

والمؤمن ، أو المعتقد ، قد يصل به ايمانه أو اعتقاده ... الى التضحية فى سبيل ما يعتقد ويؤمن به ... بالنفس وما يملك . وعندئذ لا تستطيع غرائزه الفطرية أن تقاوم اعتقاده ، فضلا عن أن تسوده وتوجهه .

... وهكذا التخلف فى التنوير العقلى لا ينذر باضطرابات ، أو انقلابات فى النظام القائم الذى يشتد الحرص عليه فحسب ... وانما يؤدى الى ضعف امكانيات الانسان وطاقاته فى المحافظة على بقاء ذاته ... فى مواجهة الكائنات الأخرى ، أو فى مواجهة احتياجات هذه الذات .

* * *

... ولذا : تركب الطبيعة البشرية من النوعين : الغرائز والعقل معاً ينادى بحتمية مراعاة الجانبين ، وبعدم الغاء اعتبار أى واحد منهما ... كما ينادى بالتعادل والرعاية بينهما :

... اذ لو خرج التركيب بين النوعين فى طبيعة الانسان عن نطاق التعادل ومال الى جانب الغرائز ، لضعف الانسان عن أن يحافظ على بقائه ، ويحقق السلام فى محيط البقاء الفردى ، أو النوعى على السواء . وعندئذ تسود ظروف الاعتداء :

فانطلاق الغرائز ، دون تدخل العقل ، أو فى ظروف ضعف رقابته ... يؤدى الى تكاثر المشاكل التى تواجه الانسان دون أن تجد حلولا لها . وهى مشاكل كفيلة باثارة القلق فى حياته ، والاضطراب فى استمرار نوعه . وشأن حفظ البقاء الانسانى أن يهدده القلق والاضطراب ، لأن هذا صورة من صور الاعتداء .

... ان انطلاق الغرائز يرفع أمر التحديد فى مجالات الحلال والحرام ، وما ينبغى وما لا ينبغى فى العلاقات بين الأفراد ... ويرفع مجال حرمات الأشخاص فى أموالهم ، وأعراضهم ... ويرفع مجال المعايير التى يقيم السلوك الانسانى على أساس منها ، وتبعاً لها .

... فانطلاق غريزة المقاتلة والدفاع عن النفس ، من أجل البقاء ، يلغى اعتبار القانون والأخلاق ، ويجعل السيادة ... لمن هو أقوى فى هذه الغريزة ممارسة وتدريباً .

... وانطلاق غريزة الجنس يقوض نظام الأسرة ، ويرفع المسئوليات التى ترعى الطفولة البشرية فيها ، حسن التوجيه لأعضائها .

... وانطلاق غريزة الاقتناء ... ، يمكن لطغيان الاستغلال والحرمان معاً ... ويبعد الجو الملائم لقيام مجتمع انسانى ، ويعين على اشاعة الأحقاد والضغينة ... مما يهدد البقاء النوعى للانسان تهديداً خطيراً .

... وكذلك لو خرج هذا التركيب بين النوعين فى طبيعة الانسان ، عن مستوى التعادل بينهما ، وتركز الوضع عندئذ فى جانب العقل ... لكانت النتيجة هى نفس الشىء : تهديداً لبقاء البشرية ، ولكن من جانب عدم توفر الاستطاعة المادية التى تقوم بها الغرائز لدى الانسان . **اذ أن قيادة سليمة ، بدون جنود مدربين ، يعنى ... لا شىء فى الحياة .**

على أنه يشك عندئذ أن تكون للعقل قدرة على ادراك سلامة القيادة ، ورسم معالمها للتنفيذ . فهو ضعيف ، للضعف المادى بسبب عدم رعاية الغريزة اطلاقاً ... عن أن يكون منتجا ... فضلا عن أن يكون مثمراً فى انتاجه .

ان حكمة الله ، جلت قدرته ... فى تكوين الانسان هى ... فى ازدواج تركيبه .

وأن رسالة الله الخالدة هى ... فى العدل فى هذا الازدواج ،

وأن السلام ، أو الاسلام ، المنشود للبشرية من هذا العدل هو ... فى المحافظة عليه .

وأن الضمان فى بقاء العدل وفى المحافظة عليه ... فى الرقابة الذاتية لسلوك الأنانية بحيث لا يطغى الانسان بسبب الاستغناء :

« والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق . وتواصوا بالصبر »(١).

* * *

(١) سورة العصر .